*Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi* 54:1 (2013), ss.35-63
DOI: 10.1501/Ilhfak_0000001377

# "الآخر" بيننا: صورة الإسلام الخارجي والإباضي في التراث التفسيري*

***إسماعيل البيراك***
الجامعة الكاثوليكية الأسترالية وجامعة صقريا؛ كلية الإلهيات
***ترجمة: جابر بن محمد ناصر بوحجام***
مركز المعالي للتمكين الحضاري– العالية (الجزائر العاصمة)
"فريق البحث: ترجمة أعمال في الفكر الإباضي"
tamkin.higher.studies@gmail.com

**ملخص الدراسة**

تُحلل هذه المقالة تصور الإسلام الخارجي والإباضي في التفاسير السنية والشيعية، وتقارن بين تصوير هذه الفرق من قِبَل خصومهم وبين حقيقة التعاليم الإباضية كما وردت في مؤلفاتهم التفسيرية والفقهية والعقدية. وكما سيتضح، فإن التصورات الخاطئة كثيرة حيث يُقَمّص الخوارج والإباضية دور "الآخَر" النموذجي الذي يتسم بالبدعة، والتكفير، والغلو، ونشر الفتنة. إن لهذه الصورة السلبية جذوراً في تاريخ الإسلام المبكر، والمفسرون ومؤرخو التفسير ما زالوا يحافظون على هذه الصورة حتى يومنا هذا رغم اختفاء المعنيين بسجالاتهم منذ زمن بعيد، وأيضا رغم توفر المصادر التي تقدم فكرة أكثر دقة عن معتقدات الخوارج، وبالأخص الإباضية. إن الحاجة إلى إنشاء "قصة تحذيرية" عن عدو داخلي تدفع إلى تبني رواية مضادة عن الخوارج من المفسرين الأوائل بدلاً من التحقق من الصور النمطية حول الخلافات العقدية والشعائرية والفقهية المزعومة بين الخوارج وفرق الإسلام الأخرى. وفي الواقع، إن الاختلافات بين الإسلام الإباضي والمعتقدات السائدة عند أهل السنة والشيعة قليلة نسبياً في جوانب عديدة، ولكن معظم المفسرين يذهبون إلى إسقاط توجهات مناهضة للخوارج على النص القرآني نفسه بشكل يفتقر للسياق التاريخي، مما يرسّخ أن إثبات الذات ورسم الحدود الطائفية هي من وظائف التفسير، وهي أحياناً أقوى من البحث عن المعنى الحقيقي للنص.

**الكلمات المفتاحية**: الخوارج، الإباضية، التفسير، الفرق المبتدِعة، التيار الإسلامي السائد، الشيعة.

* – قُدِّمت نسخة سابقة من هذه الورقة في مؤتمر: "التفسير: تقييم فن في إطار تاريخ الفكر الإسلامي" الذي عقد في برلين– ألمانيا، 15–17 سبتمبر 2010.

**مقدمة**

توجد الاختلافات داخل كل تراث ديني نتيجة لعوامل متعددة: عقدية، اجتماعية سياسية، ثقافية، اقتصادية وعرقية؛ والنتيجة الحتمية لذلك، أن تميل كل جماعة إلى الإشارة إلى من يختلفون عنها بـ"الآخر"، حتى وإن كانوا ينتمون إلى دين واحد، وهو حال جميع الأديان، وليس في الإسلام فقط. ومن الأمثلة الجديرة بالذكر ما حدث في بدايات المسيحية، عندما كتب القديس بولس: "هل انقسم المسيح؟"[1] إلى جماعات مسيحية متنافسة. وبينما لا يتطلب الاختلاف عن التيار السائد بالضرورة حاجةً إلى "انقسام رسمي" إلى فصائل، ستظل هناك دائمًا فرق تستخدم معارضة التقاليد السائدة وسيلةً لتأكيد استقلاليتها؛ وبالمثل، يمكن تعزيز توجه التيار السائد لتقليد ما من خلال نقد التيار البديل.

تُسمى الفرق التي تختلف عن "التيار السائد"[2] داخل الساحة الإسلامية –أي "الآخر الداخلي"– بـ "الفرق الضالة" أو "أهل البدع"؛ وهي مصطلحات تشير إلى تيارات أيديولوجية أو طوائف "منحرفة" داخل الإسلام. وبسبب وجهات نظرهم المباينة، يُنظر إليهم بوصفهم أصل "الفتنة" وتهديداً لوحدة الإسلام. والمفارقة هنا هي أنه في حين تحاول هذه الطوائف إقصاء التيار السائد عبر اتهامه بالتقصير أو الابتداع، فإنها هي نفسها تُسمى "الخوارج" (أي "الآخرين" أو "الخارجين عن الجماعة") في تراث التيار السائد. ويقدم الخوارج نموذجاً جيدا لهذا التهميش، وسيكون بناؤهم لـ"الآخر" من خلال تفسير القرآن الكريم محط التركيز في هذا المقال.

سأقوم بتحليل صورة الخوارج والإباضية في تفاسير القرآن الكريم فيما قبل العصر الحديث؛ وسأتمم هذا التحليل بالاستناد إلى مؤلفات مختارة في علم الكلام والفقه تشير إلى إسلام الخوارج، وجميع المصادر التي سأفحصها قد كُتبت بأقلام مؤلفين من غير الخوارج، وبالتالي فهي تمثل وجهة نظر خارجية عن هذه الجماعة. وبناءً على تحليل هذه النصوص، سأناقش أسباب تهميش الخوارج والخطاب السلبي المتصاعد حولهم في تاريخ الفكر الإسلامي السائد. وبهذا، سيقدم المقال نموذجاً لكيفية استخدام تفسير القرآن الكريم لتعزيز وتوريث الصور النمطية والحدود المتخيلة داخل التراث الديني الإسلامي، كما سيصف المنهجية التي تتيح ترسيم هذه الحدود وإدامتها.

1 – رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (الإصحاح 1: 10-13): "وَلٰكِنَّنِي أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ، بِٱسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، أَنْ تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ قَوْلًا وَاحِدًا، وَلَا يَكُونَ بَيْنَكُمْ اِنْشِقَاقَاتٌ، بَلْ كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ. لِأَنِّي أُخْبِرْتُ عَنْكُمْ يَا إِخْوَتِي مِنْ أَهْلِ خُلُوِي أَنَّ بَيْنَكُمْ خُصُومَاتٍ. فَأَنَا أَعْنِي هٰذَا: أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَقُولُ: «أَنَا لِبُولُسَ»، وَ«أَنَا لِأَبُلُّوسَ»، وَ«أَنَا لِصَفَا»، وَ«أَنَا لِلْمَسِيحِ». هَلِ ٱنْقَسَمَ ٱلْمَسِيحُ؟ أَلَعَلَّ بُولُسَ صُلِبَ لِأَجْلِكُمْ، أَمْ بِٱسْمِ بُولُسَ اِعْتَمَدْتُمْ؟".

2 – يُستخدم مصطلح "التيار السائد" في هذه الورقة البحثية للإشارة إلى الجماعات والأفراد المعترف بهم جزءاً من الإسلام السني.

**صورة الخوارج والإباضية في تفاسير القرآن الكريم القديمة**

يشتهر الخوارج بين المسلمين بتسببهم في إثارة الفوضى والإرهاب في التاريخ الإسلامي المبكر. وكثيراً ما يشير العلماء الذين يكتبون عن الخوارج إلى أن النبي ﷺ قد حذّر منهم، مستدلّين بحديث ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت.855/241م): "سمعت رسول الله ﷺ ": يذكر قوما يخرجون من هاهنا – وأشار بيده نحو العراق – يقرءون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية "[3].

سأعرض في الأقسام القادمة بالتفصيل موقف المفسرين بشأن ما يُفترض أنه قصور الخوارج في قراءة القرآن الكريم وفهمهم له، وبالتبع سأقوم ببسط صورة الخوارج المنبثقة من مقارباتهم لبعض المسائل الفقهية والكلامية كما وردت في مصادر غيرهم، ومن ثمَّ، أفحص بعض المزاعم الموجهة ضدهم عبر مقارنتها بالأفكار المذكورة في مؤلفات الخوارج، وتحديداً الإباضية منها.

تستحق الإباضية اهتماماً خاصاً لكونها تُعتبر أكثر فرقة مسالمة من الخوارج، وهي الفرقة الوحيدة المهمة منها التي استمرت بعد القرون الأولى للإسلام. وبناءً عليه، فإن مؤلفات الخوارج المتاحة في مجالات التفسير وعلم الكلام والفقه هي إباضية بالدرجة الأولى. ومن المثير للاهتمام أنه على الرغم من أن الإباضية لا تشترك إلا في القليل من تلك الخصائص التي غالباً ما يُتهم بها الخوارج، إلا أن العلماء لا يميلون إلى إجراء مثل هذه التمييز، وهو ما سيوضحه تحليلي.

## 1.1 وجهات نظر حول تفسير الخوارج والإباضية للقرآن الكريم

يتجلى الموقف العام لعلماء المسلمين (من غير الخوارج) تجاه منهج الخوارج في تفسير القرآن الكريم في الرواية المشهورة عن نصيحة الخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب (ت.40/ 661م) لابن عباس (ت.68/ 687م) حين أرسله لإقناع الخوارج بعدم محاربة الخليفة، حيث قال له: "اذهب إليهم فخاصمهم، ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه"[4]. وينقل عكرمة (ت.723/105م) –وهو من الخوارج– بقية الحوار بين ابن عباس وعلي، مستنداً في ذلك إلى رواية ابن عباس نفسه: "يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم في بيوتنا نزل، قال: صدقت ولكن

[3] – مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج 25، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط: 1– 1419/1998، ص: 351، رقم الحديث: 15977.

[4] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، دار الكتاب العربي– لبنان، 1999، ص: 440.

القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن خاصمهم بالسنن فإنهم لن يجدوا عنها محيصا"، فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة[5].

تُظهر هذه الرواية بوضوح أنه كان يُنظر إلى الخوارج على أنهم يمتلكون مهارة لغوية فائقة في تفسير القرآن؛ وبتعبير آخر، كان لديهم من الكفاءة ما يُمكّنهم من استنباط أي معنى يرغبون فيه من القرآن.

ثمة مرجع آخر استخدمه العلماء بشكل متكرر للهجوم على تفسير الخوارج للقرآن الكريم هو جزء من الآية السابعة من سورة آل عمران: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[6]. ويذكر المفسر الشهير الطبري (ت. 922/310) أن قتادة (ت.117هـ/ 735م)، وهو من التابعين، قال عند قراءته لهذه الآية: "إن لم يكونوا الحرورية (الخوارج) والسبئية، فلا أدري من هم"[7]، ومن خلال ذكر الخوارج مع السبئية، يعزز الطبري تقييمه السلبي للخوارج، كما يشدد على أن تفسيرهم مبتدع بقوله: "ذُكر الخوارج عند ابن عباس... فقال: يؤمنون بمحكمه، ويهلكون عند متشابهه، وقرأ ابن عباس :﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾"[8].

يظهر من تحليل تفسير ابن كثير (ت.774هـ/1373م) أن السمعة السلبية للخوارج لم تتغير خلال القرون الأربعة التي تلت عصر الطبري، بل إن النقد الذي وجهه ابن كثير كان أشد قسوة من نقد الطبري. ولا نعلم ما إذا كان المفسر المدقّق ابن كثير قد التقى شخصياً بواحد من الخوارج الذين يعكسون السمات المنسوبة للإسلام الخارجي المبكر، وأيّا كان، وبسبب الروايات التاريخية السلبية حول هذه الفرقة، فقد دأب العلماء دائماً على الربط بين الخوارج والفتنة وتصويرهم على هذا النحو. على سبيل المثال، لا يساور ابن كثير شك في أن الآية (7) من سورة آل عمران تشير إلى الخوارج، بل يتوسع في هذا التفسير ويشير إلى أن الآية (106) من السورة ذاتها: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، تشير إلى أن الذين تسوّد وجوههم ليسوا سوى الخوارج.

وبعد تأكيد موثوقية وجهة النظر هذه استناداً إلى روايات التفاسير، يرى ابن كثير أنهم إن لم يكونوا مبتدعة، "فهم على الأقل محل شبهة"، ويضيف أن الخوارج كانوا بلا شك أول جماعة مبتدعة في التاريخ الإسلامي.[9] وكما يتضح من كل هذا، فإن ابن كثير لا يجد غضاضة في ربط جماعة لم تظهر إلا بعد وفاة النبي ﷺ بآية قرآنية مباشرة؛ وهذه المقاربة متوافقة تماماً مع التفسيرات السابقة. فعلى سبيل المثال، رُوي أن بعض الصحابة ربطوا الاضطرابات

[5]– م. س. ن.

[6] – تُناقش هذه الآية، بطبيعة الحال، باستفاضة في تفاسير القرآن الكريم، ولا يعدُّ الاستشهاد المتكرر بالخوارج فيها إلا جانباً ثانوياً من جوانب تفسيرها.

[7] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 3-4، دار الفكر، 1405/1984، ص: 178.

[8] – م.س، ص: 181.

[9] – ابن كثير، مختصر ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، المجلد: 1، دار القرآن الكريم، بيروت– لبنان، ط: 7، 1402/ 1981، ص ص: 364-365.

في عهدي الخليفتين عثمان (ت.656/36م) وعلي بالخوارج، رغم أن هذه الجماعة لم تكن قد ظهرت بعد في ذلك الوقت. وما يهمنا هنا هو السؤال عن كيفية تحول هذا التشويه المبكر لأنشطة الخوارج إلى قناعة راسخة بعد ثمانية قرون.

يوضح ابن كثير أن الاضطرابات المزعومة التي أثارها الخوارج كانت مرتبطة بهدف الحصول على متاع الدنيا؛ حيث يذكر أنه بعد غزوة حنين في عام 8هـ/630م، ساورت بعض الأفراد فكرة باطلة مفادها أن النبي ﷺ لم يعدل في توزيع الغنائم. كما يروي أن رجلاً يُدعى "ذو الخويصرة" أفصح عن شكوك تلك الجماعة صراحةً، فبعد أن دعا ابن كثير عليه بقوله: بقر الله خاصرته[10]، ذكَر أن النبي ﷺ ردَّ على الرجل بقوله: "لقد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل"، فاستأذن عمر رضي الله عنه النبي ﷺ في قتل ذلك الرجل، فأمره بتركه، وتحدث النبي محمد ﷺ عن ذرية ذلك الرجل قائلاً: "دعه فإنه يخرج من ضئضئ هذا — أي: من جنسه – قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية".[11]

يشير ابن كثير إلى أن الجماعة التي أخبر عنها النبي ﷺ كانت موجودة في عهد الخليفة الرابع، علي، وقد قُتل أعضاؤها في "النهروان"، ثم تشعبت منهم وانتشرت على نطاق واسع طوائف وجماعات ومجتمعات أخرى ذات معتقدات مبتدَعَة[12]. وبصرف النظر عن وثوقية ابن كثير في صحة الروايات التي يستشهد بها، فإنه لا يقدم تقييمه الشخصي لهذه القضية؛ فهو لا يعلق على التناقض الظاهر بين أمر النبي ﷺ في أحد الأحاديث من أن يُترك وشأنه من يُفترض أنه رأس الفتنة، وبين التوجيه الذي ورد عنه لأمته في حديث آخر بقتل الجماعات الشريرة المتولدة عن تلك الفتنة أنّى ظهرت وحيثما وُجدت.

ويبدو أن ابن كثير يفسر هذا الحديث الأخير –الذي يظهر في العديد من المسانيد– على أنه موجه ضد أنشطة الخوارج اللاحقة، وبالربط بين الأحاديث والأحداث التاريخية المختلفة استطاع أن يوجد نوعا من التوافق. كما أنه اعتبر وجود جماعات مبتدعة أخرى إلى جانب الخوارج، مثل القدرية والمعتزلة والجهمية، دليلا يؤكد معرفة

---

[10] – إن اللعن الذي ذكره ابن كثير يتسق مع السياق؛ فالغزالي يرى أن الصفات المقتضية للعن ثلاثة: الكفر والبدعة والفسق، ويوضح الغزالي تحت عنوان "اللعن" أن لعن أهل البدع الذين يبتدعون في الدين (مثل: اليهود والنصارى والشيعة والخوارج والقدرية) هو أمر جائز، ولكنه يحذر قارئه أيضاً من صعوبة التحديد بدقة من هم أهل البدع الحقيقيون. ينظر: الغزالي؛ أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج: 3، دار المعرفة، بيروت — لبنان، ص: 124.

[11] – ابن كثير، مختصر ابن كثير، المجلد: 1، ص: 264. Aḥmad b. Ḥanbal, *Musnad* (Istanbul: Çağrı Yayınları, 1992), v.3, p.486

[12] – ابن كثير، مختصر ابن كثير، المجلد: 1، ص ص: 264-265. وردت هذه الرواية أيضا في مسند الإمام أحمد، ويؤكد الهيثمي أن جميع رواة هذا الحديث ثقات، ولمعلومات أكثر ينظر: البنا، أحمد عبد الرحمن، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المجلد: 23، دار الحديث، القاهرة- مصر، (د.ت)، ص ص 148-149.

النبي محمد ﷺ بالغيب ماضيا وحاضرا ومستقبلا، والذي كان مجهولا لمعاصريه. ويُذكر أن النبي ﷺ أخبر أمته في حديث آخر أن أمة الإسلام ستفترق إلى 73 فرقة، كلها في النار إلا واحدة تتبع نهجه ونهج أصحابه؛ وهذه الفرقة هي الناجية وتستحق الجنة[13].

يوثق ابن كثير قصور تفسير الخوارج للقرآن الكريم بحديث آخر للنبي ﷺ: "يقرأُ القرآنَ قومٌ من أمتي، يمرقون منه كما يمرقُ السهمُ من الرمية؛ يقرؤون القرآن لا يجاوزُ تراقيهم" (أو كما في النص: " ينثرونه نثر الدقل، يتأولونه على غير تأويله")[14]. ويؤكد أن عدة آيات تدعم معنى هذا الحديث؛ فعلى سبيل المثال، قوله تعالى في (آل عمران: 7): "فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ" هم الذين يتبعون مساراً محرّفا في تفسير القرآن الكريم.

ويستنبط الطبري معنىً مشابهاً من سورة الكهف- 104: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾؛ فوفقاً للأثر التفسيري، سأل مصعب بن سعد والده، سعد بن أبي وقاص (ت.674/54) عما إذا كان الذين "يحسبون أنهم يحسنون صنعاً" هم الخوارج (الحرورية)، فرد سعد بن أبي وقاص أن هذه الآية تشير إلى "أصحاب الصوامع" [النصارى]؛ أما الخوارج، فقد كانوا موضوع آية أخرى في (الصف: 5): ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[15]. وتتضمن هذه الرواية التي نقلها الطبري على "زاغوا" أو "أزاغ" المشتقة من جذر "زيغ" (الانحراف)، والموجودة أيضاً في (آل عمران: 7).

خلاصة القول، لقد سعى المفسرون القدامى إلى إيجاد ربط مباشر بين الآيات التي استُخدم فيها الجذر اللغوي "زيغ"؛ فرغم أن آية سورة الصف تشير صراحةً إلى قوم موسى، أي اليهود، أو كل من نَأَتْ قلوبهم عن عبادة الله، إلا أن المفسرين ربطوا هذه الآية بالخوارج لإثبات وجهة نظرهم بأن تفسير الخوارج للقرآن الكريم تفسيرٌ معيب. وأورد الطبري رواية عن أبي أمامة فيما يتعلق بالآية (5) من سورة الصف، يعزز التصور السائد: "هم الخوارج... والله لا يوفق لإصابة الحق القوم الذين اختاروا الكفر على الإيمان[16]؛ لأن في قلوبهم زيغاً".[17]

---

[13] – ابن كثير، مختصر ابن كثير، المجلد: 1، ص ص: 264-265. يُعتبر هذا الحديث الوارد في مجموعات الحديث المعتمدة، حديثاً صحيحاً (أو موثوقاً) لدى علماء الحديث. انظر: البنا، الفتح الرباني، المجلد 17، ص 101؛ المجلد 24، ص 6.

[14] – ابن كثير، مختصر ابن كثير، المجلد: 1، ص: 264.

[15] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 16، دار الفكر، 1405/1984، ص: 33. استعمل أيضا "أهل الكتاب" أو "اليهود والنصارى" بدلا من "أصحاب الصوامع" في روايات أخرى.

[16] – الطبري، جامع البيان، ج: 28-29، دار الفكر، 1405/1984، ص: 87.

[17] – Elmalılı Muhammed Hamdi Yazır, *Hak Dini Kur'ân Dili* (İstanbul: Eser Yayınları, 1971), v.2, p.1040.

يوسع القرطبي (ت. 671هـ/1272م) دائرة أولئك الذين يُزعم أنهم يسيئون تفسير القرآن لتشمل الرافضة، الذين يعتبرهم جماعة شيعية متطرفة[18]، وبحسبه فإن سبب فشل الخوارج في فهم القرآن، هو أنهم يتجاهلون السنة – التي تشمل كلام النبي محمد ﷺ وأسلوب حياته، وتوضح روح القرآن دون أن تكون بالضرورة شرحاً مقصوداً له–، وبالتالي فإنهم يلتزمون فقط بالمعنى الظاهري والسطحي للقرآن، ومن ثَمّ لا يمكنهم فهمه بشكل صحيح.[19] وبالإضافة إلى تعزيز إدانته للخوارج بوضعهم في نفس المرتبة مع الرافضة، فإنه يشخّص أيضاً علة تجاهل السنة النبوية في التفسير كعَرَض من أعراض مرضهم، ويصر على ضرورة تجنب الناس لهذا الداء. ولتوضيح عدم مبالاة الخوارج بالسنة، ينقل القرطبي كلمات شيخٍ تائبٍ من الخوارج: "إنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا".[20]

[18] – تُعدُّ الاحتكارية سمةً بارزة لـ "الآخَرية" في الأدبيات الشيعية أيضاً، ويؤكد هذا الأمرَ القولُ المنسوب إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر (ت. 114هـ/733م): "إبرؤوا من خمسة: من المرجئة، والخوارج، والقدرية، والشامي، والناصب"، وعندما سئل عن النصب أجاب: "من أحبّ شيئا وأبغض عليه". [في نص المؤلف نجد أن المعنى الذي ذكره المؤلف هو: "الذين يغضبون على من يحبون" ( those who get angry with the ones they love)] المترجم. ينظر: الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج12، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت– لبنان، ط3: 1411/ 1991، ص: 317. ويروي الكليني في كتابه "الأصول من الكافي" أن الله لَعن القَدَرية والخوارج [مرّة] والمرجئة (مرتين)، والملفت أن الكليني أورد ذلك في باب "كتاب الإيمان والكفر". الكليني؛ أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي، الأصول من الكافي، م:2، دار الكتب الإسلامية، طهران –إيران، ط:2، 1381 هـ، ص: 409.

[19] – القرطبي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج:1، دار الكتب المصرية، القاهرة– مصر، ط:2، 1384/ 1964، ص: 38.

ويورد الطبري عدداً من الروايات التي تؤكد إدانة الخوارج من قِبل شخصيات مرجعية في صدر الإسلام. إحدى هذه الروايات وردت في جزء تفسيره للآية (7) من سورة آل عمران، حيث ينقل عن قتادة قوله: "ولعمري لقد كان في أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله ﷺبيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار، خبر لمن استخبر، وعبرة لمن استعبر، لمن كان يعقل أو يبصر. إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله ﷺيومئذ كثير بالمدينة والشام والعراق، وأزواجه يومئذ أحياء، والله إن خرج منهم ذكر ولا أنثى حروريا قط، ولا رضوا الذي هم عليه، ولا مالئوهم فيه، بل كانوا يحدثون بعيب رسول الله ﷺإياهم، ونعته الذي نعتهم به، وكانوا يبغضونهم بقلوبهم، ويعادونهم بألسنتهم وتشتد والله عليهم أيديهم إذا لقوهم، ولعمري، لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع، ولكنه كان ضلالا فتفرق". ويضيف قتادة: "وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافا كثيرا، فقد ألاصوا هذا الأمر منذ زمان طويل، فهل أفلحوا فيه يوما أو أنجحوا؟ يا سبحان الله! كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم! لو كانوا على هدى قد أظهره الله وأفلحه ونصره، ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه، فهم كما رأيتهم، كلما خرج لهم قرن أدحض الله حجتهم، وأكذب أحدوثتهم، وأهرق دماءهم، ... ذاكم، والله، دين سوء فاجتنبوه، والله إن اليهودية لبدعة، وإن النصرانية لبدعة، وإن الحرورية لبدعة، وإن السبئية لبدعة، مانزل بهن كتاب، ولا سنهن نبي". الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 3-4، دار الفكر، 1405/1984، ص: 178.

وتذكرنا كلمات القرطبي بالآية (82) من سورة النساء: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 1، ص: 78. ومن خلال استشهاد الطبري بكلمات قتادة فإنه يشدد على هامشية مكانة الخوارج في مقابل الإسلام السني، ومن المهم التنبه إلى طريقته في تهميش الخوارج بذكرهم جنباً إلى جنب مع أهل الكتاب، ويدعم رؤيته للخوارج بالحديث: " إن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم"، ابن ماجه – محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، ج: 2، المكتبة العلمية، بيروت– لبنان، د.ت.ن، ص: 1261، (Ibn Mājah, Sunan (İstanbul: Çağrı Yayınları, 1992), v.2, p.1303). إن الروايات التي اقتبسها تهدف إلى إثبات خروج الخوارج عن الجماعة ومخالفتهم لإجماع الأمة.

[20] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج:1، ص: 78.

إن كتب التفسير مليئة بذكر السمعة السيئة للخوارج، ومن الأمثلة على ذلك قصة ابن أبزى التي ذكرها الطبري لتبيان كيف يحرف الخوارج معاني القرآن من خلال وضع الآيات في سياقات غير مناسبة، أو تقديمها بتعليقات واستنتاجات مضللة. والقصة عن رجل من الخوارج جاء إلى ابن أبزى وقرأ الآية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: 1)، قال له: أليس الذين كفروا بربهم يعدلون؟ قال :بلى. وانصرف الرجل، فنبهه بعضهم بأن هذا الرجل من الخوارج، وأنه ربما سيدرج المسلمين ضمن دائرة الذين كفروا التي تحدث عنها ابن أبزى لمجرد أنهم لا يفكرون مثله، وأشاروا إلى أن ما فهمه الرجل من كلام ابن أبزى قد يكون مختلفا عما كان يقصده، فطلب ابن أبزى إحضار الرجل، وأوضح له مقصده وحذره من تجاوز حدود المعنى الذي نزلت فيه الآية.[21]

ولا يقتصر انتقاد تفسير الخوارج للقرآن الكريم على علماء أهل السنة فحسب؛ إذ تُظهر مصادر الشيعة الإمامية موقفاً عدائياً تجاه الخوارج، وهو أمرٌ منطقي باعتبار أن الخوارج تمردوا على علي بعد حادثة التحكيم التي أدت في النهاية إلى مقتله، والمثير للاهتمام هنا هو ممارسة الإقصاء تجاه الخوارج من قِبل جماعةٍ هي نفسها تتعرض لـ "الإقصاء" من قِبل أهل السنة.

وفقاً لرواية عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (ت. 115هـ/733م)، فإن الخوارج جماعةٌ ضيّقوا على أنفسهم،[22] وضيّقوا الأفق، ويشير ضمناً إلى استحالة استخلاص رؤية دينية موثوقة من ذهنية كهذه. ووفقاً لرواية أخرى، عندما جاء رجل وسأل أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ت. 148هـ/765م) عما إذا كان "الخوارج شكّاكاً"[23]، أجاب نعم، ووصف منهج الخوارج في تفسير القرآن بأنه يفتقر إلى اليقين وبالتالي فهو قاصر.

وخلاصة القول، يرى علماء الشيعة أن الخوارج –الذين لم يرسخ الدين في قلوبهم — لن يزدادوا استكشافا لمعاني الدين ولا ممارسةً في الحياة اليومية، وأشار المفسر الإمامي الشهير العياشي (القرن 3 هـ/9 م) إلى ضعف الخوارج في فهم القرآن عند تفسيره للآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: 82)، ثم استخدم "مفهوم المخالفة" ليقرر أن "الذين يلبسون إيمانهم بظلم هم الخوارج أنفسهم..."[24]،

---

[21] – سأل ابن أبزى الرجل عما إذا كان يعرف فِيمَن نزلت هذه الآية، فأجابه بالنفي، فأوضح له ابن أبزى: " إنما نزلت في أهل الكتاب". (الطبري، جامع البيان، ج: 7، ص ص: 144-145)".

[22] – الكليني، الأصول من الكافي، م:2، ص: 409.

[23] – محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، م: 10، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1991، ص: 81. العاملي عالم شيعي من القرن 11 هـ/ 17 م.

[24] – العياشي؛ محمد بن مسعود، تفسير العياشي، م: 1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1991، ص ص: 353 - 367.

وبهذا ينطبق على الخوارج حكم المشركين ويفقدون بالتبع الحق في الأمن. كما يرى القمي (ت. 381هـ/991م)، وهو مفسر إمامي آخر، أن الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الزمر: 67) نزلت في الخوارج.[25]

ثمة حجة هامة يستخدمها علماء الشيعة عند "تهميش" الخوارج، وهي أنَّ خصوصية سبب النزول لا تقيد المعنى العام للآية [وهي القاعدة الأصولية: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب]. وهذه حجة شائعة في تفاسير السنة والشيعة على حد سواء، وتُستخدم في هذا السياق لربط بعض الآيات بالخوارج حتى وإن ورد أنها قد نزلت في فرقة أخرى سابقة لظهور الخوارج.

على سبيل المثال، فإن تفسير القُمّي لآية: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: 105)، يتطابق تماماً مع أسلوب الإدانة عند المفسرين السنة؛ استنادا لتعليق ينسبه إلى علي بن إبراهيم أنّ هذه الآية خاطبت اليهود في الأصل، لكنها تنطبق أيضاً على الخوارج.[26]

ونجد حجة مماثلة في تفسير الطبري لآية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (الكهف: 103)[27] من خلال رواية ذكرها عن مصعب يسأل والده عما إذا كانت هذه الآية عن الخوارج، قال والده سعد بن أبي وقاص: "لا"، وأضاف أن الآية التي تتحدث عن الخوارج هي: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ...﴾ (البقرة: 27)، رغم أن هذه الآية تشير إلى اليهود. ويذكر راوي هذه الحادثة أن سعد بن أبي وقاص عرّف الخوارج بأنهم "فاسقون"، وهو مصطلح يشير إلى الذين ينتهكون الشريعة الإسلامية علانية. ووفقاً للضحاك ومفسر آخر لم يُذكر اسمه، فإن الآية ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ تصف الخوارج إلى جانب اليهود والنصارى؛ حيث يؤكدان أنه على الرغم من نزول هذه الآية في اليهود والنصارى، إلا أنها تشمل كل من يعبد الله بطريقة لا يرتضيها.

ينهي ابن كثير هجومه اللاذع والواسع على الخوارج بالآية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾ (النور: 39)[28]. وبهذا يعرّف ابن كثير الخوارج بأنهم أولئك الذين يحسبون أنهم على الطريق الصحيح، بينما هم غارقون في المعصية.

والحجة نفسها تتكرر في تفاسير الآية 159 من سورة الأنعام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ...﴾، فابن كثير بعد أن ذكر أن هذه الآية نزلت في اليهود والنصارى، اقتبس رواية عن ابن عباس أن اليهود والنصارى قبل مبعث محمد ﷺ تفرقوا شيعا؛ بَيد أن هذه الآية قد نزلت بعد بعثة النبي محمد ﷺ للناس

[25] – www.altafsir.com/Tafasir/asp مؤسسة آل البيت الملكية.

[26] – www.altafsir.com/Tafasir/asp مؤسسة آل البيت الملكية.

[27] – الطبري، جامع البيان، ج: 16، ص ص: 33-34.

[28] – ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، المجلد 2، ص: 438.

رسولا، لذا فإن المقصودين بـ (وَكَانُوا شِيَعًا) هم الخوارج"[29]. ووفقاً لراوٍ مجهول، فإن الأشخاص المخاطبين في هذه الآية هم "أصحاب البدع". ويخلص ابن كثير إلى القول: "والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له".[30]

### 1. 2. نقد فقه الخوارج

ثمة سمة أخرى جديرة بالملاحظة في كيفية التعامل مع الخوارج في التفاسير القديمة، من خلال النقد الحادّ لفقههم. فكما ذكرنا سابقاً، اعتبر علماء السنة والشيعة على حد سواء أن تفسير الخوارج للقرآن قاصر. بالإضافة إلى رؤيتهم للخوارج أنه يعوزهم اللجوء للاجتهاد والاستنباط، وهما من المتطلبات الأساسية في الأحكام الفقهية. وفي هذا الصدد، تكتسي ملاحظة العالم الظاهري ابن حزم حول فقه الخوارج أهمية بالغة؛ حيث يؤكد أنه نظراً لمحاولة الخوارج تفسير القرآن دون الرجوع إلى سنة النبي ﷺ ، فإنهم لا يمكن أن يخرّجوا فقهاء حقيقيين".[31]

والنتيجة الطبيعية أن تبرز تساؤلات حول مصداقية فتاوى الخوارج ومدى قابليتها للتطبيق؛ وعموما يرى العلماء من غير الخوارج أن فقه الخوارج معيب وغير موثوق فيه، والأمثلة ذات الصلة بهذا الحكم عديدة وموجودة في كتب التفاسير المتقدمة منها والمتأخرة، ولمفسرين من مختلف المذاهب الفقهية والفرق الإسلامية؛ حيث يؤكد الجميع على قصور الخوارج الفقهي. فعلى سبيل المثال، يشير الألوسي (ت 1270هـ/1854م) إلى أن الخوارج يرفضون حد رجم الزناة (المحصنين أو المطلقين أو الأرامل)، رغم فعل النبي ﷺ وإجماع الصحابة[32]. كما ينقل الألوسي أيضاً،

---

[29] – [النص في مختصر تفسير ابن كثير: "وقال ابن عباس: إن اليهود والنصارى اختلفوا قبل مبعث محمد ﷺ فتفرقوا، فلما بُعث محمد ﷺ أنزل الله عليه: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ...} الآية، قوله: {وَكَانُوا شِيَعًا} قال: هم الخوارج. وما يلاحظ أن رواية ابن عباس في كتاب تفسير القرآن العظيم لابن كثير خالية من لفظة الخوارج ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج:3، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، 1420/ 1999، ص ص: 376-377]. المترجم.

[30] – ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، المجلد 1، ص ص: 637-638. ويوضح ابن كثير في معرض تعليقه على آية قريبة المعنى: "[ولا تكونوا من المشركين] مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ" (الروم: 32)، أن أتباع الديانات يختلفون أحياناً، ورغم أن بعض الجماعات داخل الإسلام كانت لها خلافاتها أيضاً، إلا أن التي وقعت في الضلال هي تلك الجماعات التي اعتزلت التيار السائد في الإسلام (أهل السنة والجماعة). (ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، المجلد 3، ص: 55)، [عبارة ابن كثير هي كالتالي: وهذه الأمة أيضا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة]. وينعكس في هذا التفسير النقاش المستفيض حول مفهوم الاحتكارية في أدبيات الملل والنحل.

[31] – ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ، المجلد: 4، دار الجيل، بيروت- لبنان، 1986، ص: 156.

[32] – الألوسي؛ شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المجلد : 18، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، (د.ت)، ص: 78. وكان القرطبي قد ذكر هذه المسألة سابقاً في تفسيره (القرطبي، الجامع، المجلد 7، ص 145)؛ ومن ناحية أخرى، نسب الشهرستاني إنكار الرجم إلى الأزارقة (الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، المجلد: 1، الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت، 1993، ص 140). ومن المؤسف أنه على الرغم من امتلاك محمد حسين الذهبي، مؤلف كتاب "التفسير والمفسرون"، للمصادر التي تمكنه من فحص مدى صحة هذا الحكم –أي

دون الإشارة إلى مصدر محدد، أن الخوارج يتفقون على جواز قطع يد السارق في أي نوع من أنواع السرقة[33]، وعند شرح كيفية تطبيق هذا النوع من العقوبة، يضيف أبو السعود أن الخوارج يرون وجوب قطع اليد من الكتف وليس فقط من الرسغ.[34]

ولا يفرق القرطبي –وهو المشهور بإيلائه أهمية بالغة لإجماع كبار علماء الإسلام– بين الوصف المشين والشائع عن الخوارج وحقيقة الأمر عند شرحه لما يشاع عن وجهة نظر الخوارج في مسألة فقهية معينة؛ ففي القسم المتعلق بالأنكحة المحرمة، يذكر القرطبي أنه وفقاً للخوارج، فإن الزواج بأختين في وقت واحد، أو الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، هو أمر جائز، وفي ختام تعليقه هذا، يقول: "لقد خالفوا السنة الثابتة، ولذلك خرجوا من الدين كما يخرج السهم من الرمية".[35]

كان الخوارج في عصر كل من القرطبي وأبي السعود والألوسي قد انتهوا تقريبًا باستثناء بعض الجماعات الإباضية المنعزلة، والتساؤل الجديد هنا عن سبب استمرار هؤلاء المفسرين في ذكر الآراء الفقهية المنسوبة للخوارج رغم أنها قد فقدت جدواها العملية. أحد التفسيرات المحتملة هو أن اهتمام هؤلاء المفسرين بهذه المواقف الفقهية التي هُجرت منذ زمن طويل كان مجرد اهتمام تاريخي، أو أن تشبث علماء السنة بالإجماع هو عامل آخر وراء الموقف السلبي نحو فقه الخوارج؛ ومنطقيٌّ أن ينكر هؤلاء المفسرون أية ممارسة بعد فحصها ووجدوا أن غالبية العلماء لا يقرونها. ويبقى السؤال المطروح: هل كانت الممارسة الفقهية والنظرية الفقهية عند الخوارج متسقة مع الوصف الوارد في التفاسير المذكورة أعلاه؟

وينبغي لنا أن نشير إلى أنه في الفترة الممتدة من القرن الخامس الهجري كانت بعض أعمال الإباضية –رغم قلتها– قيد التداول، وكان الإباضية المجموعةَ الوحيدةَ المتبقية مما كان يُصطلح على تسميته بـ "الخوارج"، وبناءً على ذلك، كان يُتوقع من بعض المفسرين أن يقوموا بتحليلٍ واقعي للتصور الفقهي عند الخوارج، على الأقل وفقاً للمصادر المتداولة عند الإباضية، لكن لم يبذل أي منهم جهداً لفحص هذه المصادر.

على سبيل المثال، فيما يتعلق بحد الزنا، من الواضح أنه لا يوجد فرق بين المقاربة السنية والإباضية في هذه المسألة، فيوضح هود بن محكم الهواري (ت نحو 290هـ/ 903م) عقوبة الزاني في تفسيره بالقول: "إن لم يكن

زعم إنكار الإباضية للرجم– بطريقة علمية، إلا أنه اتبع الخطاب الكلاسيكي دون تمحيص. ينظر كتابه: التفسير والمفسرون (القاهرة، 1976)، المجلد 2، ص 313.

33 – الألوسي، روح المعاني، المجلد : 6، ص: 133.

34 – أبو السعود؛ محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المجلد: 3، دار المصحف، بيروت– لبنان، (د.ت)، ص: 35.

35 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد: 5، ص: 125.

محصنا، فمئة جلدة على أخمص القدمين؛ وإن كان محصنا، فالرجم"[36]. وقد حافظت المؤلفات الإباضية خلال القرنين الماضيَّين على منهج أسلافها؛ إذ يذكر امحمد بن يوسف اطفيش (ت 1332هـ/ 1914م) أن البكر تُعاقب بمائة جلدة على أخمص القدمين، والعبد يُعاقب بخمسين جلدة على أخمص القدمين، والرجل أو المرأة المحصنيْن يُرجمان[37].

وفيما يتعلق بعقوبة قطع يد السارق، فإنه لا يوجد أيضاً فرق جوهري بين السنة والإباضية؛ فيوضح هود بن محكم، استناداً إلى الأحاديث، أن السارق لا تقطع يده في إلا في عشرة دراهم[38] أو في الدينار، وأنه لا تقطع في أقل من ربع دينار، وذلك اتباعا لفعل النبي ﷺ، ويضيف أن حد السرقة لا يطبق إلا إذا أخرج السارق المتاع من البيت[39].

أما بخصوص قيود النكاح التي ذكرها القرطبي، فإن الإجماع العام لدى الإباضية، من هود بن المحكم وحتى يومنا هذا، هو أن الزواج من أختين أو الجمع بين المرأة وعمتها أو بين المرأة وخالتها في آن واحد هو نكاح محرم[40].

وعن الزعم أن الخوارج يجهلون السنة والإجماع، لنتمعن كلمات اطفيش في تفسيره هِمْيَان الزاد: "بعض أحكام الدين مشروحة في القرآن، وبعضها في السنة، وبعضها عن طريق الإجماع، وبعضها عن طريق القياس، ويجب أن يستند كل من الإجماع والقياس إلى السنة، التي تشرح القضايا في ضوء القرآن؛ وبسبب العلاقة بين القرآن والسنة كما ذكر سلفا، فإن الإجماع والقياس مصدرهما أيضاً من القرآن".[41]

---

[36] – هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق: بلحاج بن سعيد شريفي، الجزء 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط:1، 1990، ص: 358. [النص في تفسير هود بن محكم: "إن كانا محصنيْن رُجما، وإن كانا غير محصنين جُلِد كل واحد منهما مائة جلدة". اهـ]

[37] – اطفيش، محمد بن يوسف، تيسير التفسير للقرآن الكريم، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط– سلطنة عمان، 1989، الجزء: 2، ص: 283، الجزء: 9، ص: 65. ويقدم تفسير الكندي مقاربة مماثلة، ينظر: الكندي، سعيد بن أحمد، التفسير الميسر، الجزء: 1، تحقيق: محمد بابا عمي، مطبعة مزون، 1998، ص: 226.

[38] – 1 درهم يعادل 4 غرام.

[39] – هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، ص ص: 368 –369. يقول اطفيش: "يرى أبو حنيفة أن عقوبة قطع اليد تُطبق إذا بلغت قيمة المسروق عشرة دراهم، أما عندنا فتُقطع يد السارق من الرسغ إذا بلغت قيمة المسروق ربع درهم". ويوضح اطفيش أن الخوارج يقطعون يد السارق في القليل أو الكثير بلا حدّ. ويضيف أيضاً أن الصفرية، وهي إحدى فرق الخوارج، تقطع من المنكب، ويقطع الشيعة الإمامية من أصول الأصابع. (اطفيش، تيسير التفسير، الجزء: 3، ص: 88). وما يلاحظ هنا هو موقف اطفيش؛ فمن خلال وضع "الخوارج" في مقام "الآخر" يضع حدّا فاصلاً بينهم وبين مذهبه الإباضي.

[40] – هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، ج:1، ص ص: 354-355؛ الكندي، التفسير الميسر، ج:1، ص ص: 229-230؛ اطفيش، تيسير التفسير، ج:2، ص ص: 293-296.

[41] – اطفيش، محمد بن يوسف، هميان الزاد إلى دار المعاد، المجلد 9، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط– سلطنة عمان، 1989، ص: 237. وقد أولى أطفيش اهتماماً أكبر بالسنة عند تفسيره للآية 4 من سورة النمل، (ينظر: اطفيش، تيسير التفسير، المجلد 4، ص: 8). ويذكر الباحث المعاصر

كما نلحظ الاحترام الكبير والتقدير الذي يكنّه اطفيّش لمناهج العلماء المسلمين في الإجماع والاجتهاد عند تفسيره للآية 155 من سورة النساء، بقوله: «إن الإجماع، وخبر الواحد، والقياس هي معايير حددها القرآن».[42] ويمكننا أن نلمس تحرّي اطفيش وتمسّكه الشديد بالسنة عند تفسيره للآية 5 من سورة المائدة، وتحديداً فيما يخص حكم غسل الرجلين في الوضوء؛ حيث يرى أن لفظ {أرجلَكم} يشمل في دلالته {وجوهَكم} و{أيديَكم}، ويخلص إلى: "كما هو موضح في السنة وفي تطبيق الصحابة للسنة وفي الإجماع، فإنه يجب غسل الرجلين كما تُغسل اليدان والوجه".[43]

وتبيّن عباراته المكانة الرفيعة للسنة عنده وتطبيقها في الأجيال الأولى فيقول: "وعلى الرغم من أن الآية تشير إلى المسح على الرجلين كالمسح على الرأس في الوضوء، إلا أننا نستنبط من السنة أن هذه الآية منسوخة"، لأن عطاء بن أبي رباح يقول: "ما رأيت أحداً من الصحابة يمسح على رجليه".[44]

ثمة أمثلة عديدة أخرى على التصوير المشوه والمثير للجدل عن فقه الخوارج من قِبل العلماء السنة؛ فوفقاً للقرطبي: "أجمع علماء الأمة على أن المرأة لا تصلي في فترة حيضها"، ويشدّد أن فرقة واحدة رفضت أن تكون جزءاً من هذا الإجماع، وهم الخوارج[45]. ويذهب الألوسي في شأن الخوارج أنهم يقولون: "لا تجوز التقية بحال ولا يراعى المال وحفظ النفس والعرض في مقابلة الدين أصلاً"[46] فيعتبرون ترك الصلاة المفروضة غير جائز، ويضيف الألوسي في معرض وصفه لهم بأنهم قوم غلاظ بطبعهم ويميلون إلى التشدد على المؤمنين في تفسيرهم للدين: "لهم تشديدات

---

الناصر محمد المرموري أنه لا يوجد فرق بين أهل السنة والإباضية من حيث منهجية الفقه الإسلامي؛ وذلك في بحثه: «أصول الشريعة الإسلامية وتطبيقاتها عند الإباضية»، ضمن ندوة الفقه الإسلامي، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية، مسقط- سلطنة عمان، 1990، ص 798.

[42] – اطفيش، هميان الزاد، المجلد 6، ص: 78.

[43] – اطفيش، تيسير التفسير، المجلد 3، ص: 36.

[44] – اطفيش، تيسير التفسير، المجلد 3، ص: 36-37. وهذا المنهج يتعارض مع زعم الذهبي بأن "الإباضية لا يعتقدون بنسخ السنة للقرآن". الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج: 2، دار الكتب الحديثة، القاهرة- مصر، 1976، ص: 313. ويتضح تحرّي اطفيش وتمسّكه الشديد بالسنة أيضاً في منهجه تجاه مسألة زواج المتعة. ينظر: اطفيش، تيسير التفسير، ج: 2، ص 301-303.

[45] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 3، ص: 85. يستند القرطبي في هذه المعلومة إلى رواية عن عائشة وردت أيضاً في صحيح البخاري، أن امرأة جاءت إلى عائشة –رضي الله عنها– وسألتها: «أتقضي الحائض الصلاة؟»، فأجابتها عائشة: «أحرورية أنتِ؟ قد كان يصيبنا ذلك مع رسول الله ﷺ فلا نؤمر به...» (البخاري، الجامع الصحيح، ج: 1، المطبعة السلفية، القاهرة، 1400هـ، ص 120). ويشترك علماء الإباضية في هذا الرأي؛ فقد صرّح كل من هود بن محكم واطفيش بعد نقل حديث مماثل، أن المرأة لا يجوز لها الصلاة أثناء فترة حيضها (هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، ج: 1، ص ص: 210-211؛ اطفيش، تيسير التفسير، ج: 1، ص ص: 333-341)".

[46] – بخصوص الآية 77 من سورة النساء: {فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ}؛ يقول الذهبي إن نافع بن الأزرق يؤكد أن التقية غير جائزة. ويضيف الذهبي أيضاً أنه، على عكس حُكم نافع، يزعم نجدة بن عامر أن التقية جائزة استناداً إلى الآية 28 من سورة المؤمن (غافر): {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ}. الذهبي، التفسير والمفسرون، ج: 2، ص: 308؛ وانظر أيضاً: الشهرستاني، الملل والنحل، المجلد:1، ص: 144.
[في نص المؤلف العبارة هي: لا يقبل الخوارج التقية حتى لو كلف الواحد ما يملك أو حياته، فإنهم يعتبرون ترك الصلاة المفروضة غير جائز]. المترجم.

في هذا الباب عجيبة"[47]. ويشير القرطبي أيضاً عند شرحه لمنهج مالك (ت 179هـ/ 795م) في أوقات الصلاة أن أبا الفرج المالكي البغدادي يروي عن مالك أن الوقت المختار في الصلوات كلها عند دخول وقتها إلا الظهر، وقال ابن أبي أويس: كان مالك لا يعجبه التعجيل في الظهر (في الصيف)، وقال: هذا يشبه صلاة الخوارج؛ فكان بعد يعجل. [48] وفي المحصّلة، لم يجد مفسرو القرآن من أهل السنة في عبادة الخوارج ولا في أحكامهم الفقهية وجها من الصحة.

ونرى في المصادر الشيعية نهجاً أشدّ عداءً تجاه الخوارج، فوفقاً لرواية وردت في كتاب "التهذيب": "والمخالف لآل محمد عليهم السلام على ضربين: ضرب يحلّ أكل ذبائحهم؛ وهم الذين لا يعادون آل محمد عليهم السلام ويظهرون مودّتهم، والثاني: لا تحلّ ذبيحتهم؛ وهم الخوارج [ومن ضارعهم من مبغضي آل محمد عليهم السلام]".[49] وبذا لا يُعدُّ الخوارج حتى من أهل الكتاب، وهمشوا إلى الأطراف.

## 1. 3. نقد علم الكلام الخارجي

إن من أكثر ما تعرض له الخوارج من نقد هو مقاربتهم لبعض المسائل الكلامية. وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن ميل الخوارج إلى اعتبار الفرق الإسلامية الأخرى "غيرا" أو "آخر" قد أثر في طريقة نظر الآخرين إليهم، وكانت الأداة الأكثر فاعلية في اعتبار المسلمين الآخرين "غيرا" هو موقفهم من مرتكب الكبيرة؛ فيذكر النحاس أن أبا عبيدة في تفسيره للآية ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: 77) بأنه "كما فعلت الخوارج؛ أخرجهم الغلوّ إلى أن كفّروا أهل الذنوب".[50] ويشير الطبري أيضاً إلى غلو الخوارج؛ فعند تفسيره للآية 23 من سورة الفرقان: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾، يستشهد بالبيت:

وَقَدِمِ الخوارجُ الضُلّال إلى عباد ربهم وقالوا

---

[47] – الألوسي، روح المعاني، المجلد : 3، ص: 122.

[48] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 2، ص: 166. وينقل الطبري رواية عن علي بن ربيعة حول عدم احترام الخوارج للصلاة أو الصحابة، قال: "بينما كان علي يصلي الفجر، قرأ واحد من الخوارج بصوت عالٍ: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (سورة الزمر: 65). فرد عليه علي في صلاته بقراءة: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} (سورة الروم: 60).

[49] – الطوسي؛ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الجزء: 9، دار الكتب الإسلامية، طهران– إيران، ط: 1، 1386 هـ، ص: 81. (كتاب الصيد والذبائح، باب: الذبائح والأطعمة).

[ما بين المعكوفين لم يذكرها المؤلف في اقتباسه]. المترجم

[50] – أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، المجلد 2، مطبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1988، ص: 344

إن دماءكم لنا حلال[51]

كما يرفض القرطبي تصور الخوارج بأن مرتكبي الكبائر كفار، وذلك في تفسيره للآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[52] سورة النساء: [48 وليس 16 كما ورد في النص الأصلي]. وبالمثل، يذكر الرازي (ت 606هـ/ 1209م) أن الخوارج حرّفوا تفسير الآية: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44] – والآيات التي تليها (45، 47) – لتكفير المسلمين، رغم أن هذه الآيات تتحدث عن غير المسلمين[53]، أما الألوسي فيرى –كما فعل الرازي– أن الخوارج تسببوا في جراح لا تندمل بين المسلمين بتصنيفهم للفاسقين والكاذبين على أنهم كفار[54].

وتحت مادة "الإباضية"، يصف السيد الشريف الجرجاني (ت: 816هـ/1413م) منهج الإباضية مع الكبائر أنه مطابق للمنهج الذي أصبح سمة مميزة للخوارج: "هم المنسوبون إلى عبد الله بن إباض، قالوا: مخالفونا من أهل القبلة كفار. ومرتكب الكبيرة موحّد غير مؤمن، بناءً على أن الأعمال داخلة في الإيمان، وكفّروا عليّا —رضي الله عنه– وأكثر الصحابة".[55]

يمكن للمرء أن يشعر بمدى مفاصلة الجرجاني الصارمة للخوارج حتى حين عرّف الإباضية؛ الفرقةَ التي تعتبر أقل إثارة للجدل بينهم، وعند قراءة تعريفه لمصطلح "الخوارج"، يتبيّن موقف مشابه فيقول: "هم الذين يأخذون العُشُر من غير إذن سلطان"[56]. ومن الواضح أنه بينما كان الخوارج يُهَمّشون ويعاملون كـ "آخر" من قِبل التيار السائد،

---

[51] – الطبري، جامع البيان، المجلد: 5، ص: 3.

[النص عند المؤلف: نسب الخوارج البدع لعباد الله وقالوا إن دماءهم حلال]. المترجم

[52] – القرطبي، الجامع، المجلد: 5، ص: 386.

[53] – الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، المجلد: 12، دار الفكر، بيروت–لبنان، 1981، ص ص: 6-7.

[54] – الألوسي، روح المعاني، المجلد: 6، ص: 145، المجلد: 18، ص: 111.

[55] – الجرجاني؛ السيد الشريف علي بن محمد، التعريفات، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1938، ص: 3.

[56] – الجرجاني، التعريفات، ص: 93. في سنوات صراع الأمويين مع عبد الله بن الزبير (ت 71هـ/692م)، لم تنجح السلطة المركزية في السيطرة تماما على المناطق الداخلية من إيران؛ ولذلك يبدو أن الخوارج قد بسطوا سيطرتهم على بعض المناطق من وقت لآخر، وتلقي رواية أبي عبيد الضوء على هذه المسألة: فقد روى أحمد بن عثمان عن ابن مبارك وسعيد بن أبي أيوب ونافع أن "مجموعة من الأنصار طرحوا موضوع أداء العُشر على عبد الله بن عمر (ت 72هـ/693م)، وعندما قال لهم سلموا العُشر إلى السلطات، أخبروه أن أهل دمشق [أي الأمويين] ينتصرون تارة، والخوارج تارة أخرى. فقال ابن عمر حينها: "ادفعوا الزكاة لمن غلب". ( Aycan, İrfan & M. Mahfuz Söylemez. İdeolojik Tarih Okumaları. Ankara: Ankara Okulu Yayınları, 2002., p.54)، ويشير تصريح ابن عمر أن الذي يجمع الصدقات هو الحاكم الشرعي. وربما بسبب هذه الروايات وما شابهها يُعرّف الجرجاني الخوارج بأنهم جماعة فوضوية تجمع العُشر دون إذن السلطان . ويُذكر أن إباضية عُمان كانوا يجمعون العشر في اليمن وحضرموت حتى القرن الثالث الهجري." (خماش؛ نجدة، "الإباضية"، الموسوعة العربية (دمشق)، المجلد: 1، ص: 32).

كان التيار السائد يشعر أيضاً بأنه "مهمّش" من الخوارج عبر مؤسسة العُشر، ويؤكد الجرجاني أنهم "لا يكترثون بالخراج الذي يُجمع من غير المسلمين، ولكن يهتمون بالعشر التي تُجمع من المسلمين".

ويذكر القرطبي الخوارجَ في معرض تفسيره للآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا...﴾ (آل عمران: 118)، والتي تُفهم عادةً أنها تشير إلى أهل الكتاب، ناقلاً عن أبي أمامة (ت. 81/ 700م) عن رسول الله ﷺ "قال: هم الخوارج".[57] ولخروجهم عن الجماعة فيما يتعلق بمفهوم الكبيرة، فقد تعرضوا لانتقادات شديدة من الفرق الأخرى، وبحسب القرطبي، فإن نهجهم في موضوع الكبيرة قد زعزع الوحدة والسلم بين المسلمين؛ إذ يعتقد القرطبي أنهم بذلك قد غرسوا أولى بذور الفرقة والانقسام".[58]

ويُربط الخوارج عموماً بمفهوم الفِسق، فعلى سبيل المثال، عند تحليل ابن كثير لدلالات كلمة "الفاسق" الواردة في الآية 26 من سورة البقرة: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ – وهي آية لا يربطها بالخوارج صراحةً في سياقات أخرى – يشير إلى انطباق هذا الوصف على هذه الفرقة، فيذكر أن كلمة "فاسق" تعني "الخارج عن الطاعة"، ويضيف أن الفأرة التي تخرج من جحرها للإفساد تُسمى "فُوَيْسِقة"، ويروي حديثاً عن عائشة حول الحيوانات الخمس [الفواسق] التي تُقتل في الحل والحرم.[59] وبهذا يعرّف ابن كثير الخوارج – دون ذكرهم بالاسم – أنهم جماعة تخريبية ظهرت من بين صفوف المسلمين.

يستخدم القرطبي القياس ذاته المتعلق بالفأرة في تفسيره للآية 190 من سورة البقرة: ﴿وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، فَدُون أن يفرق بين الخوارج، يؤكد وجوب قتالهم حتى يرجعوا إلى الحق، والسبب الذي يسوقه لذلك هو خروجهم على الإمام العادل، تماماً مثل الفأرة التي تخرج من جحرها للإفساد، لذا يرى ضرورة إجبارهم على الإذعان للحق.[60]

---

[57] – القرطبي، الجامع، المجلد: 4، ص: 179.

[58] – القرطبي، الجامع، المجلد: 1، ص: 419.

[59] – ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، المجلد: 1، ص: 46. [في نص المؤلف فسيقة]. المترجم.

[60] – القرطبي، الجامع، المجلد: 2، ص: 350. يلخص ابن حجر فكر جمهور العلماء السنة على النحو التالي: "وذهب أكثر أهل الأصول من أهل السنة إلى أن الخوارج فساق وأن حكم الإسلام يجري عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم على أركان الإسلام، وإنما فسقوا بتكفيرهم المسلمين مستندين إلى تأويل فاسد وجرهم ذلك إلى استباحة دماء مخالفيهم وأموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك". وخلاصة القول إن الخوارج فسقةٌ لكنهم مسلمون.
وبغض النظر عن بدعتهم، يتفق العديد من علماء المسلمين على أنهم أتباع مدرسة (فرقة) داخل الإسلام؛ ولذلك فإن ذبائحهم تؤكل والتزاوج معهم جائز. وعندما سُئل عليٌّ عن أهل النهروان هل كفروا، فقال: "من الكفر فرّوا". وهذا إقرار من عليٍّ بأنه حتى وإن قاتلوه، فإنهم يظلون داخل دائرة الإسلام؛ ينظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المجلد: 12، دار الريان، القاهرة، 1987، ص: 314. وفي كتابه «المفردات»، يذكر الراغب الأصفهاني في مادة "خرج": "والخوارج لكونهم خارجين عن طاعة الإمام". ينظر: الراغب الأصفهاني؛ أبو القاسم الحسين بن

ويؤكد الماتريدي (ت 333هـ/944م) أيضاً على ضرورة قتال الخوارج، تماماً كما فعل عليٌّ حين تمردوا عليه؛ والسبب الذي يسوقه بسيط للغاية: وهو أن المسلمين في كل عصر قد حاربوهم، إضافة إلى استشهاده بعدة أحاديث لدعم هذا التوجه، ومن المهم ذكر الآية التي استخدمها الماتريدي لإثبات مشروعية قتل الخوارج؛[61] إذ أشار إليهم في تفسيره للآية 27 من سورة المائدة التي تروي قصة ابني آدم، حيث تقبل الله قربان أحدهما ولم يتقبل من الآخر، والمثير أنه قبيل هذه القصة مباشرة، يورد القرآن قصة قوم النبي موسى (المائدة: 20-26) ويختتم هذا المقطع بكلمة "الفاسقين"، مما يجعل ربط الماتريدي لصفة الفاسقين بالخوارج يبدو أكثر دلالة.

لقد شغلت بال العديد من العلماء مسألة تكفير الخوارج للمسلمين، وهي المسألة التي وصفها القاضي عياض (ت 544هـ/1149م) بأنها "أصعب المسائل التي واجهت علماء الكلام".[62] إذ إن إمكانية اعتبار الكافر ضمن دائرة الإسلام وفي نفس الوقت إمكانية إخراج المسلم منها قد أقلقت العلماء السنة؛ فنظرت مجموعة منهم إلى الخوارج –بشكل غير مباشر– على أنهم جماعة منبوذة، بينما انتقدتهم مجموعة أخرى بشكل مباشر، بخاصة لمساسهم بأسس المجتمع الإسلامي؛ ومنه استباحت قتالهم وقتلهم.

والأدلة التي سيقت لدعم فكرة قتال الخوارج وقتلهم تحتاج إلى تمعّن لفهم منهجية إبعادهم وتهميشهم، وهي عموماً حجج جزئية ومجتزءة من سياقها تتجاهل الصورة الكلية والخلفية التاريخية للمصادر. فعلى سبيل المثال، يربط أبو بكر بن العربي (ت 543هـ/1148م) كلمات النبي محمد ﷺ المتعلقة بأحداث الفتن التي ستقع في الأمة بالخوارج، ويصرّح أن الخوارج كفار.[63]

ويوضح ابن هبيرة (ت 560هـ/1165م) أيضا ذلك بقوله: "أن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين، والحكمة فيه أن في قتالهم حفظ رأس مال [الإسلام]، وفي قتال أهل الشرك طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى".[64] كما يستشهد العديد من العلماء الذين يرغبون في إبعاد الخوارج عن مِلة الإسلام بالحديث الذي رواه ابن مسعود (ت

محمد، المفردات في غريب القرآن، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت)، ص: 152. وكما رأينا، فإن الجانب الرئيس الذي يشكل وجهة نظر العالم الجليل الأصفهاني تجاه الخوارج هو ما يراه محاولة لزعزعة الأمن والنظام في سنوات الإسلام الأولى.

[61] – الماتريدي، محمد بن محمد، تفسير القرآن العظيم المسمى "تأويلات أهل السنة"، المجلد: 3، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2004، ص: 30.

[62] – ابن حجر، فتح الباري، المجلد: 12، ص: 313.

[63] – استناداً إلى أحاديث النبي ﷺ: "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"، و"هم شر الخلق والخليقة"؛ يؤكد ابن العربي أن هذه الأوصاف لا تنطبق إلا على الكفار، ويُشير ضمناً إلى أن الخوارج هُم من جملة هؤلاء الكفار (ينظر: ابن حجر، فتح الباري، المجلد: 12، ص: 313).

[64] – ابن حجر، فتح الباري، المجلد: 12، ص: 314.

33هـ/653م) عن حليّة قتل المفارق للدين وللمجتمع الإسلامي، ["لا يحل قتل امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث – وفيه – التارك لدينه، المفارق للجماعة"]، وبحسب القرطبي، فإن جوهر هذا الحديث يدعم القول بكفر الخوارج.[65]

الاهتمام الرئيس للتراث السنّي هو منع أي فعل قد يؤدي إلى الفساد[66]، وبناءً على ذلك، يشير القرطبي إلى أن "الذي عليه الأكثر من العلماء أن الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه"، ويفسر هذا النهج بقوله: "لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف، وإراقة الدماء"، ويضيف بعبارات واضحة أن الخوارج هم الذين تسببوا في سفك الدماء[67]، وعند تفسيره للآية 9 من سورة الحجرات، يقتبس كلمات النبي ﷺ التي يخبر فيها عمار بن ياسر (ت 36هـ/657م) "تَقتلك الفئةُ الباغية"، ويحدد أن هذه الفئة هي الخوارج[68].

بينما تسبب نهج الخوارج التمييزي تجاه مرتكب الكبيرة في حدوث الخلاف داخل الأمة، ينقل مقاتل بن سليمان (ت 150هـ/767م) عن عطاء بن أبي رباح (ت 114هـ/732م) رواية تؤكد قبول التراث السني للتنوع داخل الأمة بالقول: "إذا لم تصلوا على مرتكبي الكبيرة، فسوف تنظرون إليهم أنه خارج ملّتكم وينتمون إلى دين آخر!". وفي موضع آخر يذكر أن: "ثلاث خصال من أصل السنة: الجهاد مع كل إمام، والصلاة خلف كل حاكم [بر وفاجر]، والصلاة على كل مسلم [من مات من أهل القبلة][69]."

يظهر جليا تتطابق نهج مقاتل مع تفسير الماتريدي الذي وضّح أولوياته: فمن أجل الاستقرار السلمي داخل الأمة، يجب وضع حاجز متين ضد الثورات، ويمكن للمرء أن يفهم توجّس مقاتل والماتريدي لمعاصرتهم أو معايشتهم للذين شهدوا الأضرار التي خلّفتها ثورات الخوارج في القرون الأولى للإسلام، وقد صُورت هذه الثورات بذات القدر من الحركية في تفاسير القرون المتأخرة حتّى عندما كانت معظم فرق الخوارج قد فقدت قوتها أو قد انتهت. وقد يرجع

65 – ابن حجر، فتح الباري، المجلد: 12، ص: 313.

66 – وغني عن البيان، أنه فيما يتعلق بمسألة الفتنة، ثمة أحاديث عديدة تحث على التعايش السلمي والوحدة في المجتمع الإسلامي، فبالإضافة إلى رفض الفوضى والإرهاب في التراث السني، تحمل هذه الأحاديث قيمة تربوية. وفي باب "النهي عن السعي في الفتنة" في سنن أبي داود قصة تجسد هذا النهج: روى مسلم بن أبي بكرة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: "إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها والماشي فيها خير من الساعي إليها"، فسأل رجل: "يا رسول الله، أرأيت إن دخل علي بيتي وبسط يده ليقتلني؟ فقال رسول الله ﷺ : كن كابن آدم". Abū Dāwūd, Sunan (İstanbul: Çağrı Yayınları, 1992), v.4, pp.455-6.

67 – القرطبي، الجامع، المجلد: 2، ص: 109.

68 – القرطبي، الجامع، المجلد: 16، ص ص: 316-317.

69 – مقتبس من:

Mevlüt Güngör, Kur'ân Tefsirinde Fıkhi Tefsir Hareketi ve İlk Tefsir (İstanbul: Kur'ân Kitaplığı, 1996), pp.114-115.

[ورد في سنن أبي داود في كتاب الجهاد، باب الغزو مع أئمة الجور، رقم 2533: حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، حدثني معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن مكحول، عن أبي هريرة قال :قال رسول الله ﷺ : "الجهاد واجب عليكم مع كل أمير، براكان أو فاجرا، والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم براكان أو فاجرا، وإن عمل الكبائر، والصلاة واجبة على كل مسلم براكان أو فاجرا، وإن عمل الكبائر".] (المترجم).

ذلك نظرياً ربما، إلى اعتبار المفسرين المتأخرين الخوارجَ قوة كامنة؛ والواقع أنهم لم يمتلكوا لا القوة ولا القدرة على اكتسابها بالنظر إلى وضعهم الفعلي، بل من المرجح أن العلماء السنة أضفوا معنى سلبياً على كل ما يتعلق بالخوارج إظهارا لرفضهم التام حتى لإمكانية حدوث أي اضطراب في المجتمع.

ولا يقتصر نقد عقيدة الخوارج على مسألة الحكم على مرتكب الكبيرة فحسب، بل يذهب العلماء أيضاً إلى أن الخوارج يردّون أصولاً هامة في الإيمان مثل الشفاعة، وعذاب القبر، والمسيح الدجال[70]، بل إن بعض فرقهم لا تؤمن بعصمة الأنبياء.[71] ويذكر القرطبي سمة أخرى يُزعم أنها تميّز الخوارج من خلال رواية تقول: إنه لما خرج علي للقاء الخوارج، سأله بعضهم: "هل ستخرج إلينا والقمر في برج العقرب؟"، وكان يُتوقع منه أن ينتظر حتى يتحول القمر؛ وإلا ستحلّ عليه مصيبة، فردّ عليّ على تلك التحذيرات الواهية بقوله: "لم يكن للنبي ﷺ منجّم، فلا حاجة لنا بهم أيضاً".[72] وبناءً على هذه الرواية، يتهم القرطبي الخوارج بالميل نحو سلوكيات غير إسلامية.

إن مثل هذه الصور النمطية عن الخوارج والتي أُنتجت معظمها ضمن كتب "الملل والنحل" ويُعاد إنتاجها باستمرار ودُون العودة إلى مصادر الخوارج، تتوافق مع الذهنية المتجلية في اعتبار فقه الخوارج الموصوف أعلاه هامشيا وفي مقام "الآخر". وغياب النقاش حول مدى استناد هذه الصور النمطية التقليدية إلى معتقدات الإباضية الفعلية – الفرقة الوحيدة الباقية من الخوارج منذ قرون– يمثل مشكلة حقيقية، لا سيما في مجال علم الكلام.

على سبيل المثال، وخلافاً للمزاعم السنية والشيعية، لم أصادف أي نفي لعصمة الأنبياء في مؤلفات علماء الإباضية التي درستُها حتى الآن، والحالة الأخرى الجديرة بالذكر هي موقف الإباضية من الحياة في القبر؛ فبادئ ذي بدء، يحتوي مسند الربيع بن حبيب (ت 171هـ/787م)[73] –الذي يعتبره الإباضية أصح من صحيح البخاري– على أحاديث عدة عن النبي ﷺ تتحدث عن عذاب القبر والأحوال التي سيواجهها الكفار والمؤمنون على حد سواء في القبر، وبعض هذه الأحاديث قد وردت أيضا في البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، وفي موطأ مالك،[74] وتتحدث عن: عرض مقعد المتوفى بالغداة والعشي والذي يمكث فيه حتى يوم القيامة بعد انقضاء فترة القبر، وقصة النبي ﷺ عن القبرين اللذين مر بهما، وما أخبر عنه عن أحوال القبر، وأسئلة الملكين.

---

70 – القرطبي، الجامع، المجلد: 7، ص: 145.

71 – الألوسي، روح المعاني، المجلد: 16، ص: 274.

72 – القرطبي، الجامع، المجلد: 19، ص ص: 28-29.

73 – والمثير أن الشهرستاني لم يذكر الربيع ضمن علماء الخوارج؛ ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، المجلد:1، ص: 160.

74 – راجع الأحاديث ذات الصلة في مسند الربيع بن حبيب (الجامع الصحيح)، مكتبة الاستقامة، مسقط- سلطنة عمان، 1995، ص ص: 196-197، 373-374 (الأحاديث رقم 484، 487، 488، 982).

يفصّل هود بن محكم أحوال الناس في القبر عند تفسيره للآية 27 من سورة إبراهيم: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾، والآية 124 من سورة طه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ متناولاً لقاءهم الأول وما يُسألون عنه، ومعاناتهم، والملائكة المرعبة، وغير ذلك.[75] وقبل قرن، صرح المفسر الإباضي امحمد بن يوسف اطفيش بأن أحد معاني «الإماتتين والإحياءين» المذكورة في الآية 11 من سورة غافر: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، هو الإحياء للمساءلة من قِبل الملائكة في القبر،[76] ويستشهد بالآية 25 من سورة نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓئَاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُمْ مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَاراً﴾ لإثبات وجود العذاب والنعيم في القبر.[77] ورغم قلة الأدلة القرآنية الصريحة على النعيم أو العذاب في القبر، فإن معظم الإباضية يقبلون هذه المعتقدات نظراً لوجود أحاديث ذات صلة، بينما قلة فقط من علماء الإباضية ذهبوا إلى أنه من المستحيل استقصاء حقيقة هذا الموضوع كلية، لأن عذاب القبر ليس من أصول الإيمان ويحيط به الكثير من الغموض.[78]

تزعم المصادر السنية وغير الإباضية الأخرى بدون استثناء، أن الخوارج —بمن فيهم الإباضية— يردّون الشفاعة، وهم بذلك يتجاهلون التعاليم الإباضية في هذا الموضوع، فعلى سبيل المثال، يتناول الحديث رقم 1004 في مسند الربيع بن حبيب مسألة الشفاعة؛ وبعد إيراد حديث النبي ﷺ: "ليست الشفاعة لأهل الكبائر [من أمّتي]"، ورد أن المؤمن الذي استشهد في سبيل الإسلام سيشفع لسبعين من أهل بيته، كما ذُكر في الحديث رقم 1001، الذي رواه جابر بن زيد (ت 93هـ؟/ 711)، أنه لن يدخل أحد الجنة بمجرد عمل، بل بأعمال صالحة ورحمة من الله وشفاعة النبي ﷺ.[79]

ويذكر هود بن محكم أن بعض الناس سيَشْفعون بإذن من الله، مستدلاً بالآية 3 من سورة يونس: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾، والآية 28 من سورة الأنبياء: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾، اللتان تفيدان في جوهرهما بأنه "ليس أحد يشفع يوم القيامة إلا أن يؤذن له"[80]، ورغم أنه يشير في تفسيره للآية 23 من سورة سبأ: ﴿وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ أن مرتكبي الكبائر لا شفاعة لهم، يذكر أيضاً أن الملائكة والأنبياء وسائر

---

[75] – هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، المجلد: 2، ص ص: 328-331؛ والمجلد: 3، ص ص: 57-58.

[76] – اطفيش، تيسير التفسير، المجلد: 11، ص ص: 328-331؛ وانظر: المجلد: 8، ص: 254.

[77] – اطفيش، تيسير التفسير، المجلد: 14، ص: 181.

[78] – الجعبيري؛ فرحات، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مكتبة العوان، تونس، 1987، ص ص: 638-639 و653.

تذكر بعض المصادر أن المعتزلة والنكار من الإباضية لا يعتقدون بالعذاب في القبر (الجعبيري، البعد الحضاري، ص: 639).

[79] – مسند الربيع بن حبيب (الجامع الصحيح)، ص ص: 378-381.

[80] – هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، المجلد: 2، ص: 182، المجلد: 3، ص: 68.

المؤمنين سيشفعون للمؤمنين.[81] ويشير اطفيش إلى أن الشفاعة لن تنال المشركين، لكنه وتأييداً لمنهج هود بن محكم، يؤكد أن الملائكة والأنبياء والأولياء سيشفّعون.[82] وخلاصة القول، إن الشفاعة عند الإباضية هي امتياز للمؤمنين المتقين؛ ولا شفاعة لمن ارتكب الكبائر الموبقات، وعليه فإن الزعم بأن الإباضية يرفضون الشفاعة كليّة هو زعم غير صحيح.

**الخاتمة**

لقد سعيتُ لحوصلة وضعية فرقة طالما تعرضت لـ "لإقصاء" واعتبارها "آخر" دينياً وسياسياً وأخلاقياً، بعد أن مارست هي نفسها هذا "الإقصاء" تجاه المسلمين من غير الخوارج دينيا وسياسيا وأخلاقيا وثقافيا وتأويلا، ولا بد من التأكيد أن مؤلفات السنة والشيعة في الفترة ما قبل الحديثة قد قدمت آراء متعددة حول الخوارج؛ فبينما تتشابه مقاربات العلماء في الأطر العامة فإنها تختلف في نقاط تفصيلية محددة؛ إذ لم يُخرِج بعضُهم الخوارجَ من دائرة الإسلام، نظراً لوجود أصول مشتركة، حتى وإن وُجدت خلافات في الفروع.

وقد سار هؤلاء المفسرون عموماً على نهج الإمام أبي حنيفة (ت 150هـ/767م)؛ ولذا وبالرغم من نقدهم للخوارج سعوا جاهدين لتقليص شروط اعتبار الشخص مسلماً إلى حدها الأدنى، وعدم إخراج أي أحد من دائرة الإسلام قدر الإمكان. لقد اعتبروا كل مكان يحكمه المسلمون "دار إيمان"، ولم يكفّروا مرتكبي المعاصي والموبقات أو اعتنقوا معتقدات الأقلية طالما أنهم يقرّون بـ الكعبةِ القبلةَ الوحيدةَ المقدسة للمؤمنين.[83]

بيد أن آخرين يقدّمون حكما سلبياً متطرفا تجاه الخوارج، وهو حكم يرتكز حصراً على إدراكهم للأزمات التي عصفت بالمجتمع الإسلامي نتيجةً لثورات الخوارج الأولى.

لقد أثرت النظرة السلبية تجاه الخوارج المتضمنة في العديد من المصادر الإسلامية حتى على تفكير بعض المسلمين ومواقفهم نحو فئات أخرى يُحتمل أن تعتبر من الخوارج، فعلى سبيل المثال، تورد العديد من المصادر الإسلامية السائدة نقدا مفصّلا عن القُصّاص والوعاظ، الذين لعبوا دوراً مهماً في المجتمع الإسلامي من خلال تعليم القرآن الكريم والتفسير والفقه والسيرة النبوية؛ ورغم أن وجود الوعاظ يعود إلى سنوات الإسلام الأولى، إلا أن المصادر تشير خصيصا إلى سلوكياتهم غير اللائقة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين)، والملاحظ أن أقسى نقد موجه للقُصّاص استند إلى حجة مفادها أن ظهورهم كان مرتبطاً بالخوارج؛ فبناءً

---

[81] – هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، المجلد: 3، ص: 397.

[82] – اطفيش، تيسير التفسير، المجلد: 10، ص: 372.

[83] – Sönmez Kutlu, "İslam Düşüncesinde Tarihsel Din Söylemleri Olgusu," İslâmiyât 4 (2001), p.23.

على رواية عن ابن سيرين (ت 110هـ/728م)، يُؤكّد أن مهنة القُصاص نشأت عند ظهور الخوارج، وبالتالي لا قيمة لهذه المهنة.[84]

عند معاينة مواقف العلماء من الخوارج، نجد سؤالاً جوهرياً لم يحظَ عموماً باهتمام بحثي جاد حتى الآن: ما هي أسباب استمرار الأحكام السلبية تجاه الخوارج، حتى في العصور التي لم يعد لهم وجود فيها؟ صحيحٌ أن بعض المجتمعات الإباضية قد بقيت، إلا أن هؤلاء لا يعتبرون أنفسهم خوارج، بل هم في الواقع أقرب إلى أهل السنة في معتقداتهم، ورغم ذلك بقيت المقاربة السلبية تجاه الخوارج والإباضية دون تغيير حتى يومنا هذا.

لماذا تناقش المصادر الأخرى الخوارجَ مراراً وتكراراً، على الرغم من عدم وجود العدد المعتبر الذين تنطبق عليهم الصور النمطية للخوارج في ذلك الوقت الذي كُتبت فيه تلك المصادر؟ إن الصور النمطية عن الخوارج مرتبطة بالتطرف العقدي والفقهي والأخلاقي، ورغم أن أشكال التطرف عند الخوارج لم تكن موجودة إلا في القرون الأولى للإسلام، اعتبر المؤلفون المتأخرون تلك الأشكال ممثلاً حقيقياً لكل الخوارج.

يُظهر تحليل صورة الخوارج في مؤلفات التفسير أن المفسرين الذين يركزون على الإقصاء والحدود الطائفية يقعون في فخ المفارقة التاريخية (anachronism)، فمنذ زمن مقاتل بن سليمان (مفسر من القرن 2 هـ) وحتى القرن 12 هـ، لم يُوصَف إلا نمط واحد من الخوارج، وهو النمط المتطرف، ويتجلى النهج ذاته في مؤلفات العقود الأخيرة، التي كان ينبغي لمؤلفيها استغلال الفرص العديدة المتاحة لإعادة تقييم نقدي. ويكفي هنا الإشارة إلى كتاب التفسير والمفسرون للعالم المصري الذهبي،[85] الذي استعرض فيه تاريخ التفاسير السنية وغير السنية؛ ففي القسم المكون من ثلاثين صفحة والذي يزعم فيه مناقشة تفاسير الخوارج (بما في ذلك الإباضية)، لا يكاد يعتمد على المصادر الإباضية، أما المصادر الإباضية القليلة التي ذكرها، فإنه لم يُجرِ لها أي نوع من التحليل، واعتمد بدلاً من ذلك على معلومات زعم أن إباضياً قدمها له عندما التقيا في الطريق! ورغم محدودية المصادر التي استخدمها وعدم كفاية البحث الذي أجراه، لم يتردد الذهبي في إصدار أحكام سلبية على التفسير الإباضي.[86] إن هذا النهج واسع الانتشار والمرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتصورات السلبية عن الخوارج والتي ترسّخت عبر التاريخ، سيؤدي بالضرورة إلى الرفض القاطع للخوارج كلية دون أي تمييز بين فرقهم، وليس من الواضح ما إذا كانت أي من المعلومات المتعلقة

---

[84] – ابن الجوزي؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، كتاب القُصّاص والمذكّرين، تحقيق: محمد بن لطفي الصبّاغ، المكتب الإسلامي، بيروت– لبنان، الطبعة: 1، 1403/ 1983، ص: 344.

[85] – الذهبي؛ محمد حسين، التفسير والمفسرون، المجلد: 2، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1976، ص ص: 305-336.

[86] – أغلب المؤلفين الذين تناولوا تاريخ التفسير بعد الذهبي كرروا مغالطاته، ويُعد كتاب: (Tefsir Tarihi) لمؤلفه "İsmail Cerrahoğlu" في جزأين خير مثال على ذلك، ينظر:

İsmail Cerrahoğlu, Tefsir Tarihi (Ankara: Diyanet İşleri Başkanlığı, 1988), v.1, pp.526-552.

بالمناهج الفقهية والعقدية للخوارج، والتي نقلها المفسرون غير الخوارج، تتفق مع الحقيقة، أو تعكس أشكالاً محلية وفردية ظهرت في فترة مبكرة، أو لا تعدو كونها مجرد خيال.

هل سعى العلماء إلى الإبقاء على السمعة السيئة للخوارج حيةً على مر العصور لأنهم يرون فيهم خطراً محتملاً؟ أم أنهم رغبوا في تدوين تاريخ الخوارج من أجل الحفاظ على السلم داخل المجتمع الإسلامي، لاعتقادهم بأن الخوارج أظهروا أعراضاً قد تتكرر مستقبلاً؟

تشير عبارة ابن تيمية إلى الموضع الذي قد تكمن فيه الإجابة على هذه التساؤلات: فوفقاً لابن تيمية، تُعد بعض الجماعات مثل الخرمية والقرامطة والنصيرية أسوأ من الخوارج، ويعرّف الخارجية أنها مجموعة من الأفكار المنحرفة والمبتدَعة[87]؛ فهو يُعرّف الخوارج بوصفهم ظاهرة اجتماعية قد تظهر في أي ظرف وفي أي وقت، وليس مجرد اسم لجماعة محددة وُجدت في فترة تاريخية معينة.

إن موقف ابن تيمية يقدم مفتاحا لفهم كلمات النبي ﷺ التي يُستشهد بها كثيراً، وكان لها كبير أثر في تصوير الخوارج في التراث السني اللاحق؛ فكما هو معروف، أن النبي ﷺ حذر أصحابه من الفتن التي ستظهر في المستقبل، وشهد الصحابة ظهور "الخارجية" وما تسببت فيه من اضطرابات، فاعتبر الصحابة أن الذين حذر النبي ﷺ منهم هم "الخوارج". ومنه وُصمت أي ظاهرة قد تحدث في أي ظرف وفي أي زمن مستقبلا باسم جماعة وُجدت في حقبة زمنية معينة مضت، فأصبحت "الخارجية" تُستخدم كمصطلح عام بدلا من كونه اسماً لجماعة معيّنة.

والدليل على ذلك نجده في تقرير رجل الدولة العثماني جودت باشا حول ظهور الوهابية[88]؛ حيث تساءل: "لماذا تُعتبر الوهابية نوعاً من الخوارج؟"، فيجيب: لأن مؤسسها، الشيخ النجدي (محمد بن عبد الوهاب)، يزعم أن الكثير من المؤمنين في ضلال، ويستبيح دماءهم ويحرض أتباعه بإعلان جواز الاستيلاء على أموال المسلمين الآخرين.[89]

إن الخبر الذي بُث عبر الإنترنت في السنوات الأخيرة بعنوان "الخوارج بيننا مجددا"، حول الهجوم الذي قُتل فيه 14 شخصاً في مسجد صغير تابع للجماعة الصوفية المعتدلة في السودان "أنصار السنة" دليل على أن

---

87 – ابن تيمية؛ تقي الدين أحمد، مجموعة الفتاوى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة- مصر، 2005، ص ص: 416-417. للاطلاع على رأي الخوارج في مفهوم "الكفر" ينظر:
Yunus Ekin, Kur'ân'a Göre İnançsızlık (İzmir: Işık Yay., 2001), pp.236-246.

88 – Cevdet Pasha, Tarih-i Cevdet (Ankara: Üçdal Neşriyat, 1966), v.7, pp.259-60.

89 – Cevdet Pasha, Tarih-i Cevdet, v.7, p.229.

مصطلح "الخارجية" قد تحول إلى سلاح إيديولوجي يُستخدم للدلالة على الغلو في التكفير. لقد أظهر الخوارج، أو بعضهم، عبر التاريخ أعراضاً معيّنة، وكلما ظهرت هذه الأعراض وُصموا وفقاً لـ الصور النمطية القديمة.[90]

والمشكل الذي لا يزال قائما أن إباضية اليوم، والذين لم يعودوا ممارسين لأي من معتقدات الخوارج (سواء كانت حقيقية أو مزعومة)، لا يزالون يُصنَّفون كخوارج بطريقة تفتقر إلى السياق التاريخي. إن المعتقدات والقواعد الفقهية والممارسات المنسوبة إليهم في غالبيتها لا أساس لها من الصحة، وتتناقض مع التعاليم الصريحة في مؤلفاتهم الدينية. ولا يزال الإباضية يتعرضون للتهميش واعتبارهم "آخر" في التفاسير السنية والشيعية من خلال إعادة إنتاج الصور النمطية عن الخوارج، دون أدنى اعتبار للمؤلفات الإباضية الحالية المتاحة على نطاق واسع في يومنا هذا.

## المراجع


- ابن الجوزي؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، كتاب القُصّاص والمذكّرين، تحقيق: محمد بن لطفي الصبّاغ، المكتب الإسلامي، بيروت– لبنان، الطبعة: 1، 1403/ 1983.
- ابن تيمية؛ تقي الدين أحمد، مجموعة الفتاوى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة– مصر، 2005.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان، القاهرة، 1987.
- ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ، دار الجيل، بيروت– لبنان، 1986.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، 1420/ 1999.
- ________ مختصر ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت– لبنان، ط: 7، 1402/ 1981.
- ابن ماجه؛ محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، المكتبة العلمية، بيروت– لبنان، د.ت.ن.
- أبو السعود؛ محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار المصحف، بيروت– لبنان، (د.ت).
- أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، مطبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1988.
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط: 1– 1419/1998.
- اطفيش؛ محمد بن يوسف، تيسير التفسير للقرآن الكريم، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط– سلطنة عمان، 1989.
- ______________ هميان الزاد إلى دار المعاد، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط– سلطنة عمان، 1989.
- الألوسي؛ شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، (د.ت).
- البخاري، الجامع الصحيح، المطبعة السلفية، القاهرة، 1400هـ.
- البنا؛ أحمد عبد الرحمن، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الحديث، القاهرة– مصر، (د.ت).
- الجرجاني؛ السيد الشريف علي بن محمد، التعريفات، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1938.


[90] – www.masud.co.uk/Islam/ahm/millan.htm; http://news.bbc.co.uk/2/hi/africa/1062277.stm.

- الجعبيري؛ فرحات، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مكتبة العوان، تونس، 1987.
- خماش؛ نجدة، "الإباضية"، الموسوعة العربية (دمشق).
- الذهبي؛ محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة- مصر، 1976.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1981.
- الراغب الأصفهاني؛ أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت).
- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي- لبنان، 1999.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت، 1993.
- الطبرسي؛ الحاج ميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج12، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت- لبنان، ط3: 1411/ 1991.
- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، 1405/1984.
- الطوسي؛ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران- إيران، ط: 1، 1386 هـ.
- العاملي؛ محمد بن الحسن الحر، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1991.
- العياشي؛ محمد بن مسعود، تفسير العياشي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1991.
- الغزالي؛ أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت — لبنان.
- القرطبي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، 1384/ 1964.
- الكليني؛ أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي، الأصول من الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران —إيران، ط:2، 1381 هـ.
- الكندي، سعيد بن أحمد، التفسير الميسر، تحقيق: محمد بابا عمي، مطبعة مزون، 1998.
- الماتريدي، محمد بن محمد، تفسير القرآن العظيم المسمى "تأويلات أهل السنة"، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2004.
- الربيع بن حبيب، مسند الربيع بن حبيب (الجامع الصحيح)، مكتبة الاستقامة، مسقط- سلطنة عمان، 1995.
- المرموري؛ الناصر محمد، "أصول الشريعة الإسلامية وتطبيقاتها عند الإباضية"، ضمن ندوة الفقه الإسلامي، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية، مسقط- سلطنة عمان، 1990.
- هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق: بلحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط:1، 1990.

- Abū Dāwūd, Sunan (İstanbul: Çağrı Yayınları, 1992)/
- Aḥmad b. Ḥanbal, Musnad (Istanbul: Çağrı Yayınları, 1992).
- Aycan, İrfan & M. Mahfuz Söylemez. İdeolojik Tarih Okumaları. Ankara: Ankara Okulu Yayınları, 2002.
- Cevdet Pasha, Tarih-i Cevdet (Ankara: Üçdal Neşriyat, 1966
- Elmalılı Muhammed Hamdi Yazır, Hak Dini Kur'ân Dili (İstanbul: Eser Yayınları, 1971).
- Ibn Mājah, Sunan (İstanbul: Çağrı Yayınları, 1992).
- İsmail Cerrahoğlu, Tefsir Tarihi (Ankara: Diyanet İşleri Başkanlığı, 1988

- Mevlüt Güngör, Kur’ân Tefsirinde Fıkhi Tefsir Hareketi ve İlk Tefsir (İstanbul: Kur’ân Kitaplığı, 1996).
- Sönmez Kutlu, “İslam Düşüncesinde Tarihsel Din Söylemleri Olgusu,” İslâmiyât 4 (2001).
- Yunus Ekin, Kur’ân’a Göre İnançsızlık (İzmir: Işık Yay., 2001).

- http//www.masud.co.uk/Islam/ahm/millan.htm
- http://news.bbc.co.uk/2/hi/africa/1062277.stm
- http://www.altafsir.com/Tafasir/asp